التخطيط للتربية في المجتمع الإسلامي

دكتور أحمد إبراهيم شلبي
رئيس قسم التربية - كلية التربية
مكة المكرمة

دكتور عرفات عبد العزيز سليمان
أستاذ مشارك بقسم التربية - كلية التربية
مكة المكرمة

التخطيط للتربية في المجتمع الاسلامي

بحث مقدم لندوة الخبراء التربويين
المنعقدة في مكة المكرمة
بين ١١-١٦ / ٦ / ١٤٠٠ هـ

إعداد :

دكتور / أحمد ابراهيم شكري
رئيس قسم التربية بكلية التربية
بمكة المكرمة

دكتور / عرفات عبد العزيز سليمان
الأستاذ المشارك بقسم التربية
بكلية التربية . بمكة المكرمة

١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

* يسير البحث على النحو التالى :

أولا : التخطيط والتربية :

المعروف ، أن التخطيط التربوى ، هو تخطيط أو تنظيم يعد مسبقا من واقع حياة المجتمع ، وفى ضوء ظروفه لإعداد الأفراد ، وتدريبهم فى شتى مجالات الحياة لكى يسهموا فى خطة تنمية المجتمع ، وفى نفس الوقت ، يتضمن هذا التخطيط ، تخطيطا للقوى البشرية فى المجتمع .

والتخطيط التربوى ، - الى جانب شموله وعموميته لشئون التربية فى المجتمع - يتناول أيضا بالضرورة ، الالتحاق بمدارس كل مرحلة تعليمية ، وتتبع الخريجين ، والوقوف على مدى كفايتهم الفنية ، وعلاقة المتخرجين بخطط التنمية الاقتصادية التى تعدها الدولة ، وكذلك اعداد الأخصائيين ، كما يتناول العمالة ، والبطالة ، الى جانب تناوله الهيكل التعليمى ، والعلاقة البشرية بين المراحل التعليمية المختلفة ، وهذه كلها من عناصر العملية التربوية .

ولقد اتجه كثير من دول عالمنا المعاصر الى الأخذ بمبادىء التخطيط التربوى لا سيما فى السنوات الأخيرة الماضية ، وكانت الدول النامية ذات حظ وفير فى ذلك الاتجاه ، تمشيا مع متطلبات التوسع الكمى ، والنوعى فى التعليم ، فضلا عن أن التخطيط التربوى يعتبر أحد الاتجاهات التربوية الحديثة ، ومن أجل هذا ، استحدثت ادارات للتخطيط التربوى والتعليمى ، ثم ادارات للمتابعة الميدانية والتوجيه الفنى على المستوى القومى للدولة .

على أن المجالات التى تتناولها العملية التعليمية وتدور حولها ، مجالات متعددة ، ومتشعبة ، ولكنها فى الوقت نفسه ، تترابط كل الترابط ، ويكمل بعضها البعض الآخر ، لأنها تعمل فى جزئياتها وكلياتها على اعداد المواطن المستنير ، والى تهيئته لأن يعيش حياة كريمة فى مجتمع متكامل ، له مقومات المجتمعات المستنيرة ، التقدمية .

والتخطيط التربوى ، جزء من التربية ، وهو فى نفس الوقت ، يسهم فى تحديد طبيعتها ، فاذا كانت التربية غاية فى حد ذاتها ، فالتخطيط وسيلة لتحقيق هذه الغاية .

وباعتبار أن التربية عملية استثمار بشرى ، فإن التخطيط هو العملية المنظمة لتطوير الطاقات البشرية ، واستثمارها ، وتوجيهها لخدمة المجتمع ، اجتماعيا ، واقتصاديا .

ثانيا : متى بدأ التخطيط لدى الشعوب ؟

تشير الكتابات القديمة إلى وجود التخطيط من أجل حاجات الشعوب منذ الأزمنة البعيدة ، وكذلك فى العصور التى سبقت الإسلام وفى العصور الاسلامية ، سواء فى الشرق أو فى الغرب ، فالتخطيط سلوك طبيعى للمجتمعات الإنسانية ، ومما يؤكد ذلك ، ما جاء بقصص القرآن الكريم فى سير الأمم السابقة .

ولعل فى قصة يوسف عليه السلام مع فرعون ، ما يشير الى معرفة الأمم الغابرة بالتخطيط ، ذلك أنه عندما رأى فرعون فى رؤياه ما حدث عنه القرآن الكريم بشأن الحياة فى بلده ، أراد أن يستفتى يوسف ويستنير برأيه فى تنظيم شئون دولته ، فكانت الفتوى بضرورة التخطيط والتنظيم لما يقبل من سنوات فى حياة شعب مصر الذى كان يحكمه فرعون والاستعداد لطوارئ المستقبل للحفاظ على مقومات حياة الناس .

" . . . وقال الملك ، إنى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ، وسبع سنبلات خضر ، وأخر يابسات ، يا أيها الملأ أفتونى فى رؤياى إن كنتم للرؤيا تعبرون " .

ولم يكن فى بلاط الملك وحاشيته من يستطيع تفسير هذه الرؤيا واعتبرها مستشاروه من الأحلام العابرة التى يتعرض لها النائم فى نومه ، " قالوا أضغاث أحلام ، وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين " .

وهنا يلجأون إلى يوسف ويعرضون عليه رؤيا الملك ليفسرها لهم ، وقد أنابوا عنهم من يعرف مقدرة يوسف على تفسير الأحلام ، فيقول له :

" يوسف أيها الصديق ، أفتنا فى سبع بقرات سمان ، يأكلهن سبع عجاف ، وسبع سنبلات خضر ، وأخر يابسات ، لعلى أرجع الى الناس ، لعلهم يعلمون .

هنالك ، تجلت مشورة يوسف عليه السلام التى تنم عن ضرورة التخطيط لتنظيم

حياة الناس على مدى سنوات طويلة ، امتدت الى خمسة عشر عاما ، ضمانا لمعيشة مستقرة ، بعيدة عن الحاجة والعوز ، " . . . قال تزرعون سبع سنين دأبا ، فما حصدتم فذروه فى سنبله إلا قليلا مما تأكلون ، ثم يأتى من بعد ذلك ، سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون ، ثم يأتى من بعد ذلك ، عام فيه يغاث الناس ، وفيه يعصرون " .(١)

فانظر كيف كان التخطيط الذى أشار به يوسف على الملك وسيلة فعالة لدرء أخطار المجاعة التى كان يتعرض لها شعب مصر حينذاك وما ينتج عنها من اضطراب وعدم استقرار فى المجتمع ، أضف الى ذلك ، حكمة يوسف فى كيفية المحافظة على ثروة الدولة آنذاك ، فقد أشار على المسئولين بترك الحصاد فى سنابله وقاية له من العطب والتلف ، وهو ما يأخذ به العلم الحديث من وسائل التخزين السليم .

وتتتابع العصور ، والأجيال ، ويأخذ كل منها بما يراه مناسبا من أساليب التخطيط لحياته ، وملائما لمجتمعه .

ثالثا : الاسلام والتخطيط للمجتمع الاسلامى :

وعندما جاء الاسلام ، تضمن بما اشتمل عليه من تعاليم وتنظيم لحياة المسلمين ، تخطيطا متكاملا لشئون محياهم ومماتهم ، ولأمور معاشهم ومعادهم ، وقد تناول هذا ، القرآن الكريم والأحاديث الشريفة والسنة النبوية المطهرة ، ثم ما عمل به صحابة رسول الله والتابعون ، وأئمة المسلمين على مر العصور ، والأجيال ، ولعل من أبرز المجالات التى تناولها الاسلام بالاهتمام ، وضرورة التخطيط لها :

١ - التخطيط من أجل معرفة القراءة والكتابة :

فالقراءة ، والكتابة ، هما الباب الرئيسى لأنواع المعرفة فى دنيا البشر ، وهما السبيل لإدراك ما خفى عن الانسان فى أمور دينه ودنياه

---

(١) سورة يوسف - الآيات من ٤٣ الى ٤٩ .

ومعاشه ، ومعاده ، فليست الغاية ، هي محو أمية المسلم بأبسط صورهـــا فحسب ، ولكنه الاستعداد لمواصلة معرفته لكل ما يفيد نفسه ، ومجتمعه .

يقول سبحانه وتعالى :

"اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربـــك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان مالم يعلم".

تلك ، هى الآيات الأولى التى أنزلها الله عز وجل على نبيه الكريـــم صلوات الله وسلامه عليه . . . أليس هذا ، بدليل واضح على اهتمـــام الاسلام بالعلم ، والاستعداد للعلم والتعليم .

كذلك ، عندما نقرأ فى السيرة النبوية ، وسيرة السلف الصالح ، نجد اهتمام الرسول عليه السلام ، وصحابته رضوان الله عليهم بالعلم والتعليم ، وعنايتهم بتعليم المسلمين القراءة والكتابة ، كما يتضح ذلك من عتق الأسرى من المشركين ، مقابل تعليمهم للمسلمين الذين لا يقرءون ولا يكتبون .

وهكذا ، نرى - على مر العصور الاسلامية - ما يؤكد اهتمام خلفـــاء المسلمين بأمور التعليم .

٢ - التخطيط من أجل تعليم الأجيال الصاعدة :

فتعليم الصغار من مسئوليات الكبار ، وتربيتهم واجبة عليهم ، ورعايتهم والاهتمام بهم من مقتضيات تتابع الأجيال ، وتعاقب الخلف للسلف ، وقـــد رسم الاسلام لنا طريق ذلك ، حيث وجه المسلمين الى ضرورة العنايـــــة بأبنائهم ، والحرص على تربيتهم تربية سليمة ، متدرجين بهم فى سنـــوات عمرهم منذ نعومة أظفارهم وحتى بلوغهم سن الرشد ، فلكل مرحلة عمريـــة سماتها ، وخصائصها ومتطلباتها التربوية .

وفى هذا ، تأكيد الاسلام على ضرورة الحفاظ على أعلى مقومات الحياة ، وهم البشر ، والثروة البشرية ، التى تنطلق منها وبها كل ثروة فى وجـــود الناس .

ويحفل ديننا الإسلامى كثيرا بهذا النوع من الإعداد والتربية للصغار ،

من ذلك ، ما جاء في القرآن الكريم من قصة لقمان الحكيم ، " .. وإذ قال لقمان لابنه ، وهو يعظه ، يابني[1] ، لا تشرك بالله ، إن الشرك لظلم عظيم ، ووصينا الإنسان بوالديه ، حملته أمه وهنا على وهن ، وفصاله في عامين ، أن أشكر لي ولوالديك إلىّ المصير ، وإن جاهداك على أن تشرك بي ماليس لك به علم ، فلا تطعهما ، وصاحبهما في الدنيا معروفا ، واتبع سبيل من أناب إلىّ ، ثم إلىّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون ، يابني ، إنها أن تك مثقال حبة من خردل ، فتكن في صخرة ، أو في السموات أو في الأرض ، يأت بها الله ، إن الله لطيف خبير ، يابني، أقم الصلاة ، وأمر بالمعروف ، وانه عن المنكر ، وأصبر على ما أصابك ، ان ذلك من عزم الأمور ، ولا تصعّر خدك للناس ، ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور ، واقصد في مشيك ، واغضض من صوتك ، ان أنكر الأصوات لصوت الحمير" .

فهذه الآيات الكريمة ، بها الكثير من التوجيهات الرشيدة التي يحث عليها الاسلام ، والتي تتضمن أسلوب سلوك المسلم في حياته ، وتعامله مع غيره بدءا من والديه الى من هم سواهما ، ثم توجيه النشء الى ما في الكون من خلق الله ، وما تجلت فيه قدرته عز وجل من إحاطة علمه بكل صغيرة وكبيرة في ملكوته سبحانه ، إلى غير ذلك من المبادئ الإسلامية القويمة كحسن الخلق ، وحسن التعامل ، وتنظيم حياة المسلم ، وامتثاله لأوامر الله ونواهيه .

ولعل ما يؤثر عن السلف الصالح من كيفية تربية وتعليم الناشئة ، وترسمهم لأنماط السلوك السوى في حياتهم ، ما يدعونا في مجتمعاتنا الاسلامية المعاصرة الى الأخذ بها ، من ذلك ، ما يروى أنه قيل ما يفيد التدرج في تربية الصغار من طفولتهم إلى رشدهم ،

"هون على ولدك لسبع ، وأدبه لسبع ، وأشدد عليه لسبع ، ثم أترك حبله على غاربه ".

---

(١) سورة لقمان - الآيات من ١٣ الى ١٩ .

ونحن اذا قسنا هذه المنظومة التربوية بمعايير التربية الحديثة ، نجد أن المسلمين الأوائل قد سبقوا عصرنا الحاضر بأربعة عشر قرنا من الفكر التربوي الناضج .

٣ - التخطيط من أجل التعليم المستمر أو التربية مدى الحياة :

فبالرغم من أن هذه من الصيحات التربوية المعاصرة ، التي تنادي بها التربية الحديثة ، فإن الاسلام ، منذ أربعة عشر قرنا ، قد سبقها ، فقد حث على استمرار العلم مدى الحياة ، وقد ورد بشأن هذا الكثير من الأقوال المأثورة ، منها : " اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد " . ذلك أن العلم وسيلة لنفع الانسان والمجتمع ، وهو أيضا ، وسيلة لإفادة المسلم في أمور دنياه وآخرته ، بل إنه فرض على كل من رضي بالاسلام دينا : " من أراد الدنيا ، فعليه بالعلم ، ومن أراد الآخرة ، فعليه بالعلم ، ومن أرادهما معا ، فعليه بالعلم ، " طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة " بل ، وطالبنا الاسلام بالاستزادة من العلم ، والاستمرار في ذلك .

يقول عز وجل :

" وقل رب زدني علما "

" وما أوتيتم من العلم الا قليلا " .

فالعلم والتعليم شرف للمسلم ، وفخر له ، ورفعة لقدره لأنه يمكنه من التفقه في أمور دينه فيفهمه الفهم الصحيح ، ويمكنه من الوعي بأمور دنياه فيسلك فيها السلوك الذي يرضي ربه ، ويمكنه من الاستعداد لآخرته ، لقاء ربه بنفس مطمئنة ، راضية ، مرضية . وقد كرم الإسلام العلم والعلماء ، ورفع منزلتهم ، وقرنهم بالملائكة ، من ذلك قول الحق تبارك وتعالى :

" إنما يخشى الله من عباده العلماء " .

" شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط " .

" يرفع الله الذين آمنوا منكم ، والذين أوتوا العلم درجات " .

" هل يستوي الذين يعلمون ، والذين لا يعلمون " .

ويقول نبينا صلوات الله وسلامه عليه في استمرار طلب العلم :

" لا يزال الرجل عالما ما طلب العلم ، فإذا ظن أنه علم ، فقد جهل " .

ويروى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، أنه قال :

" العلم خير من المال ، العلم يحرسك ، وأنت تحرس المال ، والعلم حاكم ، والمال محكوم عليه ، والعلم يزيد بالانفاق ، والمال ينقص بالنفقة " .

ويروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال :

" خُيِّر سليمان بن داود صلوات الله عليهما وسلامه بين العلم والملك ، والمال ، فاختار العلم ، فأعطى الملك ، والمال معه "(١)

نعم ، إن العلم يبصر المسلم فى أمور الدنيا ويجعله يتفكر فيما حوله من كون ومخلوقات أوجدها الله سبحانه :

" قل سيروا فى الأرض ، فانظروا كيف بدأ الخلق " . (سورة العنكبوت).

" أفلم يسيروا فى الأرض ، فتكون لهم قلوب يعقلون بها ، أو آذان يسمعون بها ، فإنها لا تعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور " .
(سورة الحج).

" والراسخون فى العلم يقولون آمنا به ، كل من عند ربنا ، وما يذكر إلا أولو الألباب " . (سورة آل عمران).

" وتلك الأمثال نضربها للناس ، وما يعقلها إلا العالمون " .
(سورة العنكبوت).

٤ - التخطيط من أجل حياة المسلمين فى دنياهم وآخرتهم :

ويتضح ذلك ، مما جاء به القرآن الكريم ، باعتباره دستور حياة المسلمين ومعايشتهم لواقعهم ، والمنهج المنظم لسلوكياتهم ، فى كافة مجالات الحياة ثم ما تضمنته السنة النبوية المطهرة ، وما جاء فى سير الصحابة ، والتابعين والسلف الصالح ، من سبل تنظيم الحياة ، ووسائل الإعداد لمتطلباتها ،

---

(١) الشيخ جمال الدين محمد جار الله بن ظهيره - الجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف - الطبعة الخامسة - المكتبة الشعبية - بيروت - لبنان - ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م ص ٩ .

والاستعداد للمستقبل ، ومقتضيات ذلك ، سواء كان في السلم أو الحرب ، في الرخاء أو الشدة ، في الحياة الدنيا أو الحياة الآخرة . ثم ما جاء في ذكر السابقين من العصور الغابرة ، البعيدة والقريبة ، وما اشتملت عليه من مواعظ وعبر . فالدعوة الى العمل مع الايمان ، واجبة على كل مسلم ، فليس الايمان بالتمني ولكنه ما وقر في القلب وصدقه العمل :

" ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا " . (سورة الكهف)

" من عمل صالحا من ذكر أو أنثى ، وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ". (سورة النحل)

" وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ، ورسوله ، والمؤمنون ، وستردون الى عالم الغيب والشهادة ، فينبئكم بما كنتم تعملون " .

(سورة التوبة)

وما جاء في الحديث الشريف بشأن العمل :

" ان الله يحب العبد المحترف ، ومن كد على عياله ، كان كالمجاهد في سبيل الله عز وجل " .

" ان من الذنوب ذنوبا ، لا تكفرها الصلاة ولا الصدقة ولا الحج ، ويكفرها الهم في طلب المعيشة " .

" ان الله تعالى ، يحب أن يرى عبده تعبا في طلب الحلال " .

" لا يقبل ايمان بلا عمل ، ولا عمل بلا ايمان " .

والاسلام يدعونا الى العمل بجانب العبادة ، فالدين علم وعمل وعبادة
" . . . فإذا قضيت الصلاة ، فانتشروا في الأرض ، وابتغوا من فضل الله ، واذكروا الله كثيرا ، لعلكم تفلحون " . (سورة الجمعة)

وفي الأثر الشريف :

" أصلحوا دنياكم ، واعملوا لآخرتكم ".

" اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا ".

والله سبحانه يوجه المسلمين الى العمل الصالح في حياتهم الدنيا مع إعداد أنفسهم لغدهم المنتظر في حياتهم الأخرى . يقول عز من قائل :

" يا أيها الناس ، اتقوا ربكم ، واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ، ولا مولود هو جازعن والده شيئا ، إن وعد الله حق ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ، ولا يغرنكم بالله الغرور" (سورة لقمان)

" وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد فى الأرض ، إن الله لا يحب المفسدين " . (سورة القصص)

" يا أيها الذين آمنوا ، اتقوا الله ، ولتنظر نفس ما قدمت لغد" (سورة الحشر)

وهناك توجيه من الله عز وجل الى الاستعداد لملاقاة الشدائد فـى حياة الناس ، فيقول سبحانه :

" وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة . . . " (سورة الأنفال)

أما حسن الخلق وحسن التعامل مع المسلمين بعضهم البعض ، فقد حث عليه الاسلام ، وأثنى على صاحب الأخلاق الحميدة .

من ذلك ما جاء فى الثناء على خلق المصطفى عليه الصلاة والسلام :

" وانك لعلى خلق عظيم " . (سورة القلم)

" وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ". (سورة الحج)

" ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك" . (سورة آل عمران)

وفى القرآن الكريم توجيه من رب العزة إلى حسن التعامل ، من ذلك :

" ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتى هى أحسن ، فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم " (سورة فصلت)

" الذين ينفقون فى السراء والضراء ، والكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين " . (سورة آل عمران)

ومن أقوال الرسول عليه السلام :

" انكم لا تسعون الناس بأموالكم ، ولكن يسعهم منكم ، بسط الوجه ، وحسن الخلق ".

وأما التعارف بين الشعوب (وخاصة المسلمة) ، فقد أعلن الاسلام وحدة الرابطة الانسانية بين شعوب العالم قاطبة ، فالانسان هو الانسان فى أية ناحية من نواحى الأرض ، والقرآن الكريم ، يقرر ذلك صراحة حين ينادى الناس جميعا :

" يا أيها الناس ، اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء" . (سورة النساء)

ذلك أن غاية الحياة البشرية ، هى أن يتقارب الناس ويتعارفوا ، لا أن يتباعدوا ، ويتخاصموا ، ففى تعارفهم تبادل النفع بينهم والتغلب على ما قد يوجد بينهم من مسائل أو مشكلات ، والقرآن الكريم يقرر ذلك بوضوح فى قول الله عز وجل :

" يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ان الله عليم خبير" . (سورة الحجرات)

ومعنى ذلك ، أن المسلم ، بحكم عقيدته ، مفطور على هذه العاطفة الانسانية العميقة ، مؤمن أن الحدود الجغرافية ، والتقسيمات السياسية واختلاف الأشكال ، والأجناس ، واللغات لا يمكن أن تقوم حائلا بين الانسان والانسان[1] .

على أنه لا يتنافى مع هذه الرابطة الانسانية العامة ، أن يقرر الاسلام وحدة الأمة الاسلامية ، بمثل قول الله عز وجل :

"انما المؤمنون إخوة" (سورة الحجرات)

فان هذه الوحدة ، لا تعنى عصبية قومية بين المسلمين ، ولكنها وحدة الايمان والفكر بين مجموعة من بنى الانسان ، من حقهم أن يعيشوا وفق ما يؤمنون به ، ومن حقهم أن يساهموا فى خدمة الحياة الانسانية بما يؤمنون أنه الخير ، دون اكراه أو عدوان ، يقول الله سبحانه وتعالى :

"لا إكراه فى الدين" . (سورة البقرة)

---

(١) عز الدين بليق - منهاج الصالحين من أحاديث وسنة خاتم الأنبياء والمرسلين (ط١) دار الفتح للطباعة والنشر - بيروت - لبنان ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م - ص ٧٥٧ .

كذلك ، فانه لا يتنافى مع الرابطة الانسانية العامة ، ولا مع الوحدة الاسلامية ، أن يعتز أهل كل وطن بوطنيتهم ، وكل قوم بقوميتهم اذا كان ذلك ، يعنى الوفاء الكريم للوطن أو القوم ، والاعتزاز بخصائص الخير فيهما ، وتجنيد هذه الخصائص لخدمة الخير والحق .

ه - <u>التخطيط من أجل البناء الخلقي :</u>

ذلك أن البناء الخلقي هو قوام الشعوب ، وأن أخلاقياتها - وان اختلفت معاييرها من شعب الى آخر - هى ركيزة حياتها وتقدمها . ودينا الاسلامى ، يدعونا الى التمسك بالخلق القويم ، بل إن قوامه الأخلاق ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

" انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " .

فالخلق الطيب يدعونا إلى أداء الواجب بكفاءة واتقان ، كما يدعونا الى تحمل المسئولية والحرص عليها .

والخلق الطيب ، يدعونا الى جودة العمل ، كما يدعونا الى حسن التعامل ، والتخطيط من أجل البناء الخلقي يبدأ من تربية الصغار ، ويمتد الى كل الفئات العمرية فى المجتمع ، فليست الأخلاق قاصرة على فئة دون أخرى ، ولكنها تشمل المجتمع بكل أفراده .

فالجانب الخلقي ، هو الجانب الإنسانى الذى ينمو مع الفرد باستمرار حيث لايتوقف عند مرحلة معينة من النمو .

واذا كان التخطيط لبناء الأخلاق يبدأ من الأسرة حيث يعيش المسلم ثم من المدرسة أو معاهد التعليم حيث يتلقى علومه ومعارفه ، فإن للمؤسسات الاجتماعية ، الدينية منها ، والثقافية دورها الهام فى تكامل هذا البناء .

والتخطيط الأخلاقى فى المجتمع ، أجل شأنا من أى تخطيط ، بل هو روح كل تخطيط ، فكم تبددت منا خططا اقتصادية ، وعمرانية ، واجتماعية وكم انفرطت من بين أصابعنا عقود خطط جيدة الإحكام فى مجالها ، ولكنها لم توضع والتخطيط الأخلاقى فى حسبان مصمميها ، ولم تنفذ على أرض

مهدها مخطط أخلاقى ، بحسب لضوابط الضمير ، ومعايير السلوك قدرها ، ودورها فى حركة الحياة من خلال أى تخطيط إنسانى "(١)

إن الاسلام يدعو المجتمعات التى تعتنقه الى ضرورة البناء الخلقى بكافة أشكاله وصوره ، وفى كافة مجالاته ، فطبيعة الاسلام تقتضى استمرارية البناء الخلقى ، بتكوينه ، وبفاعليته ، وبتطبيقه ، وبتقويمه بحيث يحقق غاياته ومراميه .

وإذا كانت بعض الدول فى عالمنا المعاصر ، تقوم باعداد تنظيمات خاصة لشبابها تعدهم - عن طريقها - لخدمة مجتمعاتهم ، وتجعل للبناء الخلقى - كما تراه من منظورها ، وطرائقها التى ترتضيها - أهمية كبرى ، وهى فى سبيل تحقيق ذلك ، تتخذ من الأساليب ما يمكنها من اقامة بنية راسخة من الأخلاق التى ترتضيها لأبنائها ، نقول اذا كانت هذه الدول تفعل هذا ، فإن الاسلام قد شرع لذلك ، منذ أمد بعيد ، وكفل الحياة الكريمة لمن يجعل الأخلاق الحميدة نبراسا لسلوكه ، ودعامة لحياته ، منذ وجوده فيها ، وشعوره بمسئولياته ، بل ؛ وهى أيضا ، سبيل لحياة آخرة ، رضية .

رابعا : عالمنا المعاصر والتخطيط للتربية :

لعل فى عرضنا السابق ، ما يؤكد أن التخطيط التربوى ليس وليد العصر الحاضر ، وانما عرفته الشعوب من طريق حكوماتها فى العصور القديمة ، وكذلك دعى إليه الاسلام الحنيف ، وإن كان مفهومه ، وخطواته فى أيامنا هذه ، قد اتسعت عما كانت عليه من قبل ، فتعداد البشرية قد زاد أضعافا مضاعفة ، ونواحى المعرفة قد تشعبت ، ومجالات العلم قد تنوعت ، وبالتالى أصبحت الحاجة ملحة لإعداد الخطط التربوية ، وتنظيمات التخطيط التربوى لدول العالم عامة ، وللدول النامية بصفة خاصة .

---

(١) د . سيد أحمد عثمان - المسئولية الاجتماعية والشخصية المسلمة - مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩م ص ٦٩ .

ويعتبر الاتحاد السوفيتي في مقدمة الدول التي أخذت بالتخطيط التربوي ، وكان ذلك في أول خطة خمسية قام بها في عام ١٩٢٣م ، وكذلك أخذت الولايات المتحدة الأمريكية بسياسة التخطيط في مشروعاتها الحكومية في عام ١٩٣٢م . (١)

ثم اتجهت بعض دول العالم إلى التخطيط التربوي بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٤ م) أوزارها وشرعت الدول تعيد النظر في سياساتها الاقتصادية ، والتعليمية ، والتربوية نتيجة ما أحدثته الحرب من انقلابات ، وتغيرات ناجمة عن تصارع القوى ، وتصاعد المشاغل الاجتماعية ، والتفجر السكاني الذي انتشر بين كثير من دول العالم .

فبريطانيا - على سبيل المثال - عندما وضعت قانون التربية والتعليم سنة ١٩٤٤م رأت أن يتضمن هذا القانون تطوير خطط التربية .

وكذلك فرنسا ، لم تدخل شئون التربية والتعليم ضمن خطتها العامة التي وضعتها عام ١٩٤٦م ، ولكنها رأت ضرورة جعلها ضمن خططها ، فبدأت في عام ١٩٥١ م بإنشاء هيئة لتخطيط التجهيز المدرسي ، والجامعي ، والعلمي والفني ، ثم أصبحت التربية جزءا متمما لخطتها العامة في عام ١٩٥٣م .

وهكذا ، أخذت دول العالم تتجه الى التخطيط في كثير من مجالات حياتها . والواقع ،أن نظم الحكم في بلاد العالم المعاصر ، وما تأخذ به الدول من أنظمة سياسية ، اتحادية كانت أو فيدرالية ، مركزية كانت أو لا مركزية .. إلى غير ذلك من تنظيمات إدارية . . . كان لها أثرها - ولا يزال - في كيفية الأخذ بالتخطيط التربوي ، وكذلك توقيت تنفيذه .

على أنه يمكن القول ، بأن النصف الثاني من القرن العشرين (الميلادي) والثلث الأخير من القرن الرابع عشر (الهجري) ، قد شهد انتشارا واسعا للتخطيط من أجل التربية بين شعوب العالم ، سواء في الشرق أو في الغرب .

---

(١) لجنة من خبراء اليونسكو - التخطيط التربوي - ترجمة منير عزام دمشق ١٩٧٢م ص ٣٥ .

هذا ، من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فقد اهتمت المنظمات الدولية بالتخطيط التربوى على الصعيد العالمى ، من ذلك ، اهتمام هيئة اليونسكو الدولية بعقد ، وتنظيم المؤتمرات والدورات الدولية ، والاقليمية التى تتناول التخطيط للتربية ، والتى يشترك فيها وزراء التربية والتعليم ، والمسئولون عن التنمية الاقتصادية فى دولهم ، والتى تتمخض عن كثير من القرارات ، والتوصيات ذات الفعالية فى تطوير شئون التربية والتعليم فى كثير من دول العالم .

كذلك اهتمت المنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) بانشاء معهد متخصص فى شئون التخطيط التربوى فى عام ١٩٦٢م ، هو المعهد الدولى للتخطيط التربوى فى باريس ، وقد منح استقلالا فكريا كبيرا ، مع أنه ظل يشكل جزءا من بنية منظمة اليونسكو وقد بدأ هذا المعهد نشاطاته فى مايو سنة ١٩٦٣م ، بعد أن ألقى عليه العبء الأساسى فى اعداد وتأهيل الكوادر المتخصصة فى شئون التخطيط التربوى على مستوى رفيع من الإعداد والتأهيل ومن مهامه أيضا ، تنسيق الأبحاث التربوية ونشرها على الصعيد الدولى .

بالاضافة الى هذا ، فقد أسهمت منظمة اليونسكو فى انشاء العديد من المعاهد والمراكز الاقليمية التى تهتم بالتخطيط التربوى ، من بينها :

- المركز الاقليمى لتخطيط التربية وادارتها فى البلاد العربية ، وقد أقيم فى بيروت عام ١٩٦١م.

- المعهد الآسيوى لتخطيط التربية وإدارتها ، وأقيم فى نيودلهى عام ١٩٦٢م.

- فرع التخطيط التربوى التابع لمعهد أمريكا اللاتينية للتخطيط الاقتصادى والاجتماعى ، وقد أنشئ فى سانتياجو عام ١٩٦٢م ، ثم أصبح فى عام ١٩٦٨ المعهد الاقليمى لتخطيط التربية وإدارتها فى أمريكا اللاتينية ومنطقة البحر الكاريبى .

- فرع التخطيط التربوى التابع لمعهد التنمية الاقتصادية والاجتماعية الافريقى ، وقد أقيم فى داكار عام ١٩٦٣م ثم أصبح فى عام ١٩٦٥م المجمع الاقليمى لتخطيط التربية وادارتها .(١)

---

(١) التخطيط التربوى - مرجع سابق ص ٤٣ .

والى جانب ذلك ، فان منظمة اليونسكو الدولية ، وما انبثق عنها من هيئات تربوية إقليمية ، وما حذا حذوها من منظمات ثقافية (كالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وغيرها) ، وكذلك بمعاونة البنك الدولى للانشاء والتعمير ، والاتحاد الدولى للتنمية . . . ، اتجهت جميعها نحو معاونة الكثير من دول العالم المعاصر فى التغلب على مشكلات التربية والتعليم بها سواء بتقديم ما تراه من الخدمات التربوية المناسبة ، أو بإمدادها بمجموعات من الخبراء المتخصصين من بين المربيين والاقتصاديين ، أو بتنفيذ المشروعات التربوية .

وهكذا ، أصبح التخطيط التربوى ، شطرا هاما فى حياة المجتمعات الحديثة حيث يهتم بتنظيمات التربية فيها ، النظامية منها وغير النظامية ، فهو يهتم بشئون التعليم ، المدرسى منه ، وغير المدرسى ، العام منه والفنى، وكذلك التعليم العالى ، وإعداد المعلمين بل وشمل الصغار ، والكبار بما فى ذلك التعليم التعويضى ، الذى يوجه الى الراشدين ، أولئك الذين لم يدركوا ركب التعليم المدرسى ، ولكنهم يمارسون أعمالهم فى مهنهم وحرفهم، هذا فضلا عن الاهتمام بدور المرأة فى تنظيمات التخطيط التربوى ، سواء كانت المرأة منتجة أو مستهلكة فقد شملت دورها التنظيمات الحديثة .

ولم يغفل التخطيط التربوى ، وسائل التثقيف العامة فى المجتمع وما يتصل بها من أنشطة مدعمة لفعاليتها .

وامتدت وظيفة التخطيط التربوى فشملت التربية المستمرة والتعليم المستمر ، وهو ما تدعو اليه الاتجاهات التربوية الحديثة ، ثم ما يستتبع تلك الأمور جميعها من محتوى ، وبنية ، وهياكل تنظيمية ، وطرائق تنفيذ ، وتقويم .

كذلك ، اندرج التخطيط التربوى ضمن الخطط العامة الاقتصادية ، والاجتماعية ، والتى تأخذ بها دول العالم المعاصر بغية ايجاد التكامل بين خطط التربية ، وخطط التنمية الاقتصادية ، والاجتماعية ، الأمر الذى يحدث التوازن بين متطلبات الحياة فى المجتمع .

نعم ، فلئن كانت بداية التخطيط التربوى فى معظم الدول التى أخذت به قاصرة على بعض البرامج المحدودة ذات المدى القصير وعلى مستوى الميزانية

العامة السنوية للدولة ، فانه قد تدرج فى تنظيماته من القليل الى الكثير حتى شملت تنظيماته فى العصر الحاضر ، الأنماط المختلفة للتربية ، ومستوياتها ، وجوانبها الكمية ، والكيفية .

على أن عالمنا الاسلامى ، قد أخذ - منذ سنوات - بالتخطيط التربوى فى كثير من دوله ، وان كانت خطواته وئيدة فى بعضها ، نتيجة لظروفها ،، وما تعرضت له فى أعوام سابقة من أزمات سياسية أو حصار ثقافى أو ضيق اقتصادى ، أو تخلف اجتماعى ، ولكنها على أية حال ، وفى أعوامنا هذه ، تحاول تعويض ما فاتها ، مستفيدة من تجارب غيرها فى هذا المضمار .

<u>خامسا :</u> مقومات التخطيط التربوى السليم :

لكى يتم التخطيط التربوى بنجاح ، ويحقق أهدافه المرجوة ، ينبغى <u>أن تتوافر</u> <u>فيه مقومات ، وشروط ، من أهمها :</u>

١ - مراعاة التوافق بين أهداف التربية فى المجتمع ، وبين الموارد المتاحة لتحقيق ذلك ، وبين الفترة الزمنية المحددة للتطبيق والتنفيذ ، وذلك فى اطار شمولى ، مستمر .

٢ - أن يعالج التخطيط التربوى مشكلات التربية فى المجتمع معالجة علمية ، موضوعية ، بحيث يمكن القضاء على تلك المشكلات أو وضع بدائل للحلول الحاسمة ، المتعذر الأخذ بها .

٣ - أن تكون أهداف التخطيط التربوى واضحة أمام من يقوم بالتخطيط ، سواء كانت قيادة متخصصة ، أو هيئة فنية ، أو مؤسسة ذات خبرة ، أو إدارة مسئولة ، فالوضوح يساعد المخططين ، وكذلك المنفذين على سلامة التنفيذ ، ونجاحه .

٤ - أن يتضمن التخطيط التربوى ترجمة واضحة لأهداف المجتمع ، وتصنيفاتها بما فى ذلك السياسة العامة للمجتمع ، والقيم الانسانية السائدة فيه ، والقوى الثقافية المؤثرة فى نظمه التعليمية .

٥ - مراعاة التخطيط التربوى لظروف المجتمع ، الراهنة ، والمستقبلة ، مع مراعاة

التنفيذ المرحلي ، والمتابعة المستمرة في التطبيق ، وذلك ، وفقـــا لمرئيات القائمين على التخطيط من المنظور الواقعي لمتطلبات المجتمع .

٦ - ألا يكون التخطيط للتربية في المجتمع مثاليا لدرجة التحليق في الفضـــاء والبعد عن امكانية التحقيق ، بل ينبغي أن يكون التخطيط صورة حقيقيـــة لاحتياجات المجتمع في مسيرة المستقبل وأن يشتمل على تصور دقيـــق لمواجهة الصعوبات التي تعترض تنفيذه ، والمعوقات التي تقلل مـــن فعاليته في جميع نواحي المجتمع ، والحياة الفنية .

٧ - ألا يكون التخطيط للتربية في المجتمع ، مجرد استرجاع للماضي أو استيعاب للحاضر ، أو تصور للمستقبل فحسب ، ولكن ، ينبغي أن يتخذ مـــن الوسائل ما يكون أكثر جدوى وفعالية ، عند ممارسة التنفيذ،إلى جانـــب احاطته بأبعاده المختلفة .

٨ - أن التخطيط التربوي ، ليس هدفا في حد ذاته باعتباره خططا موضوعـــة ، أو برامج محددة ، أو تنظيمات مرسومة ، ولكنه وسيلة ، أو سبيل لتحقيـــق هدف أو غاية ، جوهرها تقدم المجتمع ، وتطوره ، وازدهار مجالاته .

٩ - ينبغي أن يتصف التخطيط التربوي بالمرونة في الأسلوب والأداء، بحيث يسمح باجراء ما تقتضيه ظروف المجتمع من تعديل ، أو تبديل ، أو تغيير، أو تصويب في بعض مجالات التخطيط ، ومسار العمل فيه ، وذلك وفقا لما قد يحدث من مفاجآت طارئة ، ايجابية كانت أو سلبية .

١٠- ينبغي ألا يطبق تخطيط تربوي مستورد من خارج الدولة المراد تنفيـــذه فيها ، إلا بعد اتمام المواءمة الثقافية بينه ، وبين متطلبات الدولـــة ، وحياة مجتمعها ، فقد تأخذ دولة بنوعية معينة من التخطيط لا تتناسب مع ظروف دولة أخرى ، أو تكون فعاليته دون المطلوب إذا قورنت بغيرهـــا ، وقد تبدأ دولة في تخطيطها التربوي بمجالات توليها أوليتها ، بينمـــا تكون هذه الأولويات نفسها ، بعيدة عن تخطيط دولة أخرى ، أو تكـــون في مرتبة ثانوية بالنسبة لظروفها ، وهكذا .

١١- مراعاة وجود علاقة تنظيمية متوازنة بين التخطيط للتربية في المجتمع ، ووسائل

الاستثمار المستخدمة فيه ، وبين مردوده ، وفوائده ، اقتصاديـــا ، واجتماعيا ، ذلك أن فقدان التوازن بين هذين الطرفين (التخطيــط والمردود) كثيرا ما ينتج عنه خلل جسيم في حجم الخدمات الـــتى تؤدى للمجتمع ، وقصور في نواحي التنمية فيه .

١٢ - مراعاة وجود علاقة ترابطية مرنة بين وسائل التخطيط التربوى في المجتمع وبين ضرورة التكيف مع متطلبات التغير الاجتماعى ، أو التطور التكنولوجى أو التقدم العلمى ، أو المتغيرات المستمرة ، الى غير ذلك من مقتضيـات الحياة المعاصرة ، والاتجاهات العالمية ، على أن تكون الغايـــة الرئيسية هي خدمة المجتمع الذى يتم من أجله التخطيط ، وهذا بـدوره يتطلب حسن استخدام الوسائل الجيدة ، والأجهزة ذات الفعاليـــة في احداث التخطيط وتطبيقه .

١٣ - أن يتضمن التخطيط التربوى مدى كفاية المناهج الدراسية للاحتياجـات الفعلية في المجتمع ، الأمر الذى يقتضى توجيه الطلاب توجيها تعليميا ، ومهنيا سليما ، ثم ما يرتبط بذلك من توجيه نفسى له أثره على تقبلهـم لعملهم في المستقبل ، وما يعود على المجتمع من عائد اقتصـادى ، واجتماعى ، وبالتالى لا تكون هناك فجوة أو تباعد بين ما يدرس مـن مناهج ، وبين الكفايات المطلوبة للمجتمع .

١٤ - ينبغى - قبل بدء عمليات التخطيط التربوى والاعداد لها - أن يعـد القائمون على التخطيط أنفسهم ، إعدادا طيبا ، قائما على العـلم ، والموضوعية ، ووضوح المفاهيم ، والادراك الكامل للمهام الموكلة اليهم ، وكيفية التغلب على ما يصادفهم من مشكلات ، وهذا ، يعنى ضـرورة اعدادهم اعدادا فنيا متلائما مع طبيعة عملهم ، ففاقد الشيء لا يعطيه ، ومن ثم لا يؤتى التخطيط ثماره المرجوة ، ولا يحقق غايته المنشودة .

١٥ - ضرورة وجود تكامل في محاور العمل ، وأجهزة التخطيط ، من حيـث القائمين أو المشرفين والمشتركين في عمليات التخطيط ، والبرامج المزمـع تنفيذها ، والاحتمالات المتوقع حدوثها ، سواء في اضافة أو حـذف

أو تحديث في بعض طرائق التخطيط ، علاوة على ضرورة الأخذ بمبادئ التقويم أو النقد الذاتي من وقت الى آخر .

١٦ - أن يتضمن التخطيط التربوي توزيعا متناسقا للقدرات الفكرية ، والطاقات البشرية بحيث تتلاءم مع احتياجات المجتمع ، والقضاء على مشكلات مع الاستفادة من تجارب الشعوب في هذا المضمار ، ذلك أن المقارنة بين تجارب الدول ، وما توصلت إليه من نتائج لها من النفع ما يؤكد جدوى التخطيط السليم ، ولا يدع مجالا لتكرار فشل سابق ، أو عائد ضئيل .

١٧ - ينبغي لنجاح التخطيط التربوي في بلد ما ، ضرورة توفر مبادئ التعاون والشورى ، والديموقراطية ، والعلاقات الانسانية بين المهتمين بشئون التخطيط ، وبين الأفراد ، والهيئات التي يجرى عليها التخطيط أو التي تعتبر طرفا فيه ، سواء في ذلك ، المعلمون ، والمسئولون القائمون على ادارات التعليم ، وتوجيه المنشآت التعليمية ، وأولياء أمور الطلاب .... الخ ، حتى لا تكون هناك مقاومة ، أو عدم تقبل عند اجراء التخطيط ، ومن ثم يكون لذلك ، رد فعل سيء على القائمين به ، كأن يصيبهم احباط يثنيهم عن الاستمرار فيه ، أو يعتورهم فتور في تحمسهم للعمل ، أو يتسرب البطء والجمود الى مجريات التخطيط التي ألقوا فيها زوارقهم بكل ثقلهم .

١٨ - ينبغي اعداد القائمين على التخطيط التربوي ، وتدريبهم على القيام بأعمالهم بكفاءة ، كل في مجال تخصصه (وقد أشرنا الى هذا من قبل بايجاز) مع مراعاة ما يوجد بين كل فئة منهم من تفاوت في طبيعة العمل ، والاختصاص ، على أن يوضع ذلك في الاعتبار ، بدءا من القيادات العليا في التخطيط والتربية الى خبراء الاحصاء ، الى المشتركين في وحدات التخطيط ، الى المتخصصين في الادارة ، الى مهندسي الأبنية المدرسية ، وموظفي الادارات التعليمية ، الى المعلمين ، والمسئولين عن الادارات المدرسية ، .... الخ ، على أن يتم اختيار هذا الفريق المتكامل على أسس موضوعية سليمة .

١٩ - من المؤكد ، وبالدرجة الأولى ، ضرورة توافر ادارة سليمة ، ومتلائمة مع

عمليات التخطيط التربوى ، بل ينبغى تلازمهما معا فى خطوات الاعداد ، والتطبيق .

ذلك أن الادارة هى فى واقعها ، عملية توجيه العمل ، وتنظيمه ومتابعة تنفيذه ، وبالتالى ، فاننا لا نبالغ إذا قلنا ، ان التخطيط التربوى ، عقيم بدون ادارة جيدة ، ومتطورة ، ومن ثم ، فان الادارة لا تبلغ نجاحها بدون تخطيط سليم .

سادسا : كيف يتم التخطيط للتربية فى المجتمعات الاسلامية ؟؟

من المعروف ، أن عالمنا الاسلامى يضم العديد من المجتمعات الاسلامية ، وهى . . وان توحدت فى عقيدتها ، ومقدساتها ، وما فيها من روابط اسلامية لها من القوة ما يبعد عنها كل شك فى التآزر ، والتكاتف - الا أنها بالرغم من ذلك كله لها من الظروف الحضارية ، والاقتصادية ، والجغرافية ، والسياسية ، ما يجعلها تتباين فى جملتها الى حد ما .

ومن أجل هذا ، فانه من البديهى أن يكون التخطيط للتربية فى كل منها له من السمات ، ما يصفه بالعمومية والشمول من حيث بقية المجتمعات الاسلامية كما أن له من الخصوصية ، والاستقلال ، ما يجعله يتلاءم مع ظروفه ، ومقومات الحياة فيه .

على أنه ينبغى - فى أية حال - أن يتسم التخطيط التربوى فى كل مجتمع من المجتمعات بما يوفر له الفعالية ، والنجاح .

ولعل من أبرز سمات ذلك ، ما أشرنا اليه فى السطور السابقة .

والوطن الاسلامى ، ليس وحده فى عالمنا المعاصر ، ولكنه مجموعة من مجموعات الأسرة الانسانية عامة ، يتأثر بما تتأثر به ، ويؤثر فيها بقدر ما لديه من قوى ذات فعالية .

والمسلمون - منذ العصور الأولى للاسلام ، والمسلمون العرب بخاصة - كانت لهم صلات مع غيرهم من شعوب الأرض ، تبادلوا معهم ألوان المعرفة ، والتبصر بشئون الحياة ، وأخذوا عنهم ما صقل مواهبهم ، وشحذ ذكاءهم ،

فقد اتصلوا بالفرس ، وبالهند ، وباليونان ، وغيرهم ، فأفادوا ، واستفادوا ، وأعطوا كما أخذوا ، . . .

وهذا ، ما وجهنا الاسلام الى اتباعه ، والأخذ به ، تصديقا لقوله تعالى : " . . . وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . . . " .

وشئون التخطيط التربوى فى مجتمعاتنا الاسلامية ، لابد وأن تستجيب لما تعيشه من ظروف ، ومؤثرات ، داخلية ، وخارجية ، وهى - حينئذ - تتفاعل مع المجتمع الدولى - وبقية الجماعة الانسانية بحيث لا تنصهر ، وتذوب فى بوتقته ، وبالتالى ، تذهب معالمها المميزة ، ومقوماتها الأصيلة ، ولكن ينبغى أن يتم هذا التفاعل بايجابية ثنائية ، شقها الأول ، أن تكون قادرة على الاحتفاظ بجوهر المقومات الاسلامية ، وأما شقها الثانى ، فهو امكانيتها للحد من التقبل والامتزاج الا بما يفيد الشعوب الاسلامية ، وهنا، تكون المجتمعات الاسلامية قد استطاعت أن تجمع بين التأصيل ، والمعاصرة فيما تأخذ به من تخطيط للتربية فيها .

سابعا : معوقات التخطيط التربوى :

هناك بعض العوامل المعوقة لنجاح التخطيط التربوى فى المجتمعات أو التى تصيبه بالركود ، والعقم ، ومن أبرز هذه العوامل :

١ - عدم ادراك الخصائص الاجتماعية لطبيعة فئات المجتمع ، والخصائص السكانية والسمات المميزة لهم ، مما يجعل جهود المخططين تسير فى اتجاه ، بينما تكون فئات المجتمع فى اتجاه آخر .

٢ - وجود فئات اجتماعية ذات مقاومة لإحداث التخطيط التربوى أو احباط فعاليته ، من ذلك ، معارضة بعض الأحزاب السياسية ، أو فئات من رجال الدين فى بعض الدول ، أو مجموعة من رجال الجامعات ، أو فريق من ذوى النفوذ المالى فى الدولة ، وغيرهم .

٣ - تصادم القيم الاجتماعية ، والعوامل الثقافية ، والقوى الموجهة فى المجتمع مع ما يحدثه التخطيط من تغيرات أو تحولات فى أنماط الحياة التقليدية التى اعتادها الناس .

٤ - فقدان التعاون بين رجال الفكر ، والتربية ، والمهتمين بشئون التخطيط ورجال الادارة ، وبين خبراء الاقتصاد السياسي ، والمختصين بشئـون الصناعة ، والزراعة ، والتجارة ، الأمر الذى يتعذر معه نجاح التخطيـط التربوى ، ذلك لأن لكل من هذه العناصر ، مهامه فى اتمام التخطيط ، وتكامله .

٥ - عدم توفر البيانات المتنوعة ، والكافية لدى المخططين عن أوضاع المجتمع ، وشرائح التنمية الاجتماعية ، والاقتصادية ، وتصنيفاتها المطلوبة ، ومدى توفر الامكانيات المتاحة ، ماديا ، وبشريا .

وذلك فى ضوء المعايير المتعارف عليها على الصعيد الدولى ، مـع اتاحة الفرصة أمام الدول لتأخذ بما يتناسب مع مقتضيات الحياة مـن مجالات التخطيط التربوى ، كأن تركز على مجال دون آخر ، أو تؤجل جانبا ، وتستعيض عنـه بجانب أكثر أهمية ، وهكذا .

ثامنا : واقعنا التربوى فى مجتمعاتنا الاسلامية :

(تحليل ومقترحات)

والآن .. لنقف متأملين أوضاعنا التربوية فى وطننا الاسلامى .. الواقع ، ان الدول الاسلامية فى حاجة ملحة الى اعادة النظر فى نظم التربية والتعليم فيها ، وتقييم لأوضاعها ، رغبة فى حياة تربوية أفضل ، وأكثر فعالية ، ومواكبة للتقـدم العلمى الذى يتسم به عصرنا الحاضر ، واستجابة لما يدعونا اليه ديننا الحنيف :
" ان الله لا يغير ما بقوم ، حتى يغيروا ما بأنفسهم " .
وفيما يلى ، نرى أن نشير الى بعض ما تعانيه المجتمعات الاسلامية مـن مشكلات تربوية ، وما ينبغى أن يسلكه التخطيط التربوى للقضاء عليها .

١) من حيث الأمية :

ينبغى أن يخطط فى مجتمعاتنا الاسلامية من أجل القضاء على الأميـة المتفشية فى الشعوب المسلمة .

ذلك ، أن نسبة الأمية فى دول العالم الاسلامى ليست قليلة ، سواء فى قارة

آسيا أو فى قارة افريقيا ، لا سيما وأن معظمها من الدول النامية ، وكثير منهـــا ، منى بالاستعمار بكافة صوره وأشكاله ، مما فوت عليها فرص التقدم العلمى والفكـــرى وفرض عليها التخلف الاجتماعى ، وهى الآن - بفضل من الله - قد خرجـــت من براثن الاستعمار بعد أن أوقف مسيرتها لعدة أجيال متعاقبة ، حرمهـــا خلالها من ممارسة حقوقها فى الحياة الحرة الكريمة وتمتعها بنعمة العلم الـذى وجهتها اليه عقيدتها ودينها الحنيف ، الحريص على أن ينال كل مسلم ومسلمة حظه من العلم والتعليم .

ولهذا ، ينبغى أن يعنى التخطيط التربوى بمكافحة أمية المسلمين فـــى مجتمعاتهم المختلفة ، على ألا يقتصر ذلك على الأمية الهجائية أو الجهـــل بالقراءة والكتابة فحسب ، بل يشمل أيضا مكافحة الأميات بأنواعها ، الثقافية ، والدينية ، والصحية ، والاقتصادية ، والسياسية ... الخ .

ولهذا كله ، آثاره على حياة الشعوب ، وتقدم المجتمعات المسلمة .

٢) من حيث تعليم الفتـــاة :

من المعروف أن المرأة نصف المجتمع ، وهى شريكة الرجل فى تربيتـــه لأبنائه ، وبنات ، والأم المتعلمة ، تلعب دورا هاما فى حياة مجتمعهـــا ، ناهيك عن اسهامها فى انتاجية العمل بالمجتمع ، ومجتمعاتنـــا الاسلاميـــة - لسوء الحظ - من سماتها تخلف تعليم البنات ، على خلاف ما دعى اليه الاسلام ، فطلب العلم فريضة على كل مسلمة كما هو فريضة على كل مسلم ، وقـــد حفل صدر الاسلام ، والعصور الاسلامية الأولى بالعديد من النساء المتعلمات ، والمتفقهات فى دينهن ، فكان بينهن ذوات الرأى السديد ، والفكر الرشيد ، بل كان بينهن من تبوأن منازل رفيعة فى فنون الأدب ، وضروب المعرفة .

ولعل من أبرز أسباب تخلف تعليم الفتاة المسلمة ، قصور فى فهم طبيعـــة الاسلام ، والتقاليد الاجتماعية الاسلامية من قبل الآباء ، وأولياء الأمور ، وفتـور فى حماس المسئولين عن هذا التعليم ، بالاضافة الى قلة الموارد المالية المتاحـة للتعليم بصفة عامة ، ثم نظرة كثير من الأسر بعين الرضا الى تعليم الفتى ، وأفضليته عن تعليم الفتاة لأسباب اقتصادية ، وأخرى اجتماعية .

وبالرغم من هذا كله ، فانه فى السنوات الأخيرة الماضية ، يبدو أن النظرة الى تعليم الفتاة قد تغيرت أو تعدلت بعض الشئ ، حيث شرعت بعض الـــدول الاسلامية (وبخاصة ذات الامكانيات المالية الكبيرة) فى الاهتمام بتعليم بناتها ، بل أستطيع القول أنها تبالغ فى هذا الاهتمام على خلاف ما كان عليه من قبـــل . على أنه ينبغى ألا يحدنا الحرص على تعليم الفتاة المسلمة عن الطريق الـــذى رسمه لها الاسلام ، وعن دورها الطبيعى فى الحياة الاجتماعية ، وتوجيـــه الاسلام لسلوكها ، وتعاملها ، وألا تجرفها تيارات الفكر العلمانى فتتردى فـى هاوية التحضر الزائف ، بعد أن تبهرها أضواء المدنية المستقدمة من بلاد أشاحت عنها الأخلاق الحميدة وجهها .

وعلى أية حال ، فان الاحصائيات المتتابعة ، تشير الى تدنى نسبة تعليم البنات عند مقارنتها بنسبة تعليم البنين فى دول العالم الاسلامى وأنه كلما ارتفعنا بدرجات السلم التعليمى ، انخفضت هذه النسبة . ومن أجل هذا ، كان لزامـا على التخطيط للتربية فى المجتمعات الاسلامية ، أن يعيد النظر فى السياســـة المتبعة فى تعليم الفتاة بها ، بحيث تكفل لنجاحه ، ودفعه بخطوات واسعـة الى الأمام ، الامكانيات المادية ، والبشرية ، والتى عن طريقها ، يتحقـــق جانب هام من جوانب المجتمع الاسلامى ، وحتى لا تكون المرأة (وهى الرئـة الثانية للمجتمع) رئة معطلة .

<u>٣) من حيث بنية التعليم ، ونفعه للمجتمعات الاسلامية :</u>

قد يتبادر الى أذهان البعض أن الاسلام يعنى بالعلوم الدينية والشرعية فحسب ، ولهذا ، نرى فئة من الدول الاسلامية تؤكد اهتمامها بتلك النواحى الى جانب قليل من الاهتمام بنواحى المعرفة ، والعلوم الأخرى ، وقد نسى هـــؤلاء أن ديننا الاسلامى ، هو تنظيم متكامل لحياة البشرية فى أمور دنياهم ، كما أنــه يرسم لهم طريق حياتهم الأخرى ، ويوجههم الى هذه ، وتلك ، بل انه يدعونـا الى البحث فى ملكوت الله سبحانه ، والذى شمل السماوات والأرض وما بينهما ، ونتدبر فى خلقه ، ومخلوقاته بفكر رشيد ، وبصيرة ثابتة وتأمل عميق ، يقوى ايماننا بالله عز وجل ، ويدعم قيمنا الأصيلة ، ويرسخ مفاهيمنا عن ديننا الحنيف ، فضـلا

عن اعمال الفكر ، وصقل المواهب لنفع المجتمعات الاسلامية وافادتها فى مجالات حياتها .

ولننظر معا كيف يوجهنا القرآن الكريم الى التبصر فى شئون حياتنا ، ويدعونا الى البحث ، وتقصى الحقائق عما نعيش فيه ، وما حولنا ، من ذلك :

أ - <u>بالنسبة للنفس البشرية :</u> يقول الحق تبارك وتعالى :

" فلينظر الانسان مم خلق " . (آية "٥" سورة الطارق) .

" وفى أنفسكم أفلا تبصرون " .

" والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ، وجعل لكم السمع والأبصار ، والأفئدة ، لعلكم تشكرون " . (آية "٧٨" سورة النحل) .

ب - <u>بالنسبة لمنفعة الانسان :</u> يقول سبحانه :

" فلينظر الانسان الى طعامه ، انا صببنا الماء صبا ، ثم شققنا الأرض شقا ، فأنبتنا فيها حبا ، وعنبا ، وقضبا ، وزيتونا ، ونخلا ، وحدائق غلبا ، وفاكهة وأبا ، متاعا لكم ، ولأنعامكم " .
(الآيات من ٢٤ الى ٣٢ سورة عبس) .

" وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا ، وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ، ولتبتغوا من فضله، ولعلكم تشكرون " .
(آية " ١٤ " سورة النحل) .

" أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما ، فهم لها مالكون ، وذللناها لهم ، فمنها ركوبهم ، ومنها يأكلون ، ولهم فيها منافع ، ومشارب ، أفلا يشكرون " .
(الآيتان (٧١ ، ٧٢) سورة يس) .

" ومن ثمرات النخيل والأعناب ، تتخذون منه سكرا ، ورزقا حسنا ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون .
(الآية (٦٧) سورة النحل) .

جـ - <u>بالنسبة للسموات والأرض ، وما بينهما من مسخرات لنفع الانسان :</u>

" يقول عز من قائل :

" قل أنظروا ماذا فى السموات والأرض . . . " .

(الآية ١٠١ سورة يونس) .

" ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا ، وجعل القمر فيهن نورا ، وجعل الشمس سراجا ، والله أنبتكم من الأرض نباتا ، ثم يعيدكم فيها ، ويخرجكم اخراجا ، والله جعل لكم الأرض بساطا ، لتسلكوا منها سبلا فجاجا " .

(الآيات من ٥ الى ٢٠ سورة نوح) .

" وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض ، جميعا منه ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون " .

(الآية ١٣ سورة الجاثية) .

" وسخر لكم الليل ، والنهار ، والشمس ، والقمر ، والنجوم مسخرات بأمره ، ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون " .

(الآية ١٢ سورة النحل) .

" وهو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها ، وكلوا من رزقه واليه النشور " .

" والأرض مددناها ، وألقينا فيها رواسى ، وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج .

(الآية ١٩ سورة الحجر) .

" وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم ، وأنهارا ، وسبلا ، لعلكم تهتدون ، وعلامات وبالنجم هم يهتدون " .

(الآية ١٦ سورة النحل) .

.. ومن الجبال ، جدد بيض ، وحمر ، مختلف ألوانها ، وغرابيب سود " .

(الآية ٢٧ سورة فاطر) .

" وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ، ومنافع للناس" .

(الآية ٢٥ سورة الحديد) .

د - بالنسبة للمخلوقات الأخرى وتوجيه نظر الانسان اليها :

يقول العليم الخبير :

" أو لم يروا الى الطير فوقهم صافات ، ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن ، انه بكل شئ بصير " .

(الآية ١٩ سورة الملك) .

" ألم يروا الى الطير مسخرات فى جو السماء ، ما يمسكهن الا الله ، ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون " .

(الآية ٧٩ سورة النحل) .

" . . . وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ، ما كان لكم أن تنبتوا شجرها " .

(الآية ٦٠ سورة النمل) .

" وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون " .

(الآية ٦٨ سورة النحل) .

وغير ذلك . . . كثير ، وكثير مما تضمنته الآيات الكريمة وصدق الله العظيم : " . . . ويخلق ما لا تعلمون " .

(الآية ٨ سورة النحل) .

أليس هذا كله كفيلا بحرص الاسلام على دعوة البشر الى الأخذ بكافة العلوم ، وألوان المعرفة ، والتى يطلق عليها فى العصر الحاضر ، العلوم الحديثة ، والتقنية المستحدثة . والمسلم عندما يفكر فى ملكوت الله ، فانه يسلك للحصول الى حقائق الكون أنواعا متعددة من الأنماط المعرفية ، وهو يمارس الكثير من أساليب البحث والتقصى ، فهناك علوم الكيمياء ، والفيزياء ، والرياضيات ، وعلم الحيوان وعلم النبات ، وكذلك ، الجيولوجيا وطبقات الأرض ، والآثار ، والتشريح ، وغزو الفضاء . . . . الخ .

ومن هنا ، ينبغى أن يطور العالم الاسلامى نظمه التعليمية ، فلا يقنع بالعلوم التقليدية ، متواريا وراء ستار الدين ، بدعوى أن الدين ينكر التجديد أو التحديث فى المعرفة ، والحقيقة ، انه ليس كذلك ، فديننا يدفعنا الى التقدم ، لأن الله يخلق مالا نعلم ، ولا ندرى ماذا يكون عليه الغد فى أمور حياتنا ، ولهذا ، علينا أن نجمع بين الأصالة والتجديد ، فلا تبنى الحركة

التعليمية فى المجتمع الاسلامى على أساس أجوف أو رخو ، ولكن على قاعدة صلبة من العقيدة والايمان ، ننطلق منها كيفما نشاء فى رحاب المعرفة الواسعة ، فالمسلمون الأوائل ، كانوا يجمعون بين قوة العقيدة ونبوغ الفكر ، وكان منهم الفقيه الطبيب ، والفقيه المهندس ، والفقيه الفلكى ، والرحالة ، والجغرافى ، ... وهكذا .

ومن أجل هذا ، ينبغى التخطيط من أجل تحديث التعليم بدول الوطن الاسلامى ، فكثير منها لا يزال يستخدم بعض أساليب التعليم التقليدية ، والتى تعتبر متخلفة اذا قيست بمعايير العصر الحاضر .

فهناك الجديد الذى يطالعنا به العلم كل يوم ، ودينا الاسلامى يدعونا الى الأخذ بهذا ، بل وأن نعد أبناءنا لحياة غير حياتنا الراهنة ، وندفعهم الى المزيد من التفكير الناضج ، والبحث فى مجالات حياتهم ، والتنقيب عما تخفيه باطن الأرض ، وأعماق البحار ، وأجواز الفضاء ، الأمر الذى يؤكد ايمانهم ، ويعمق مفاهيمهم عن قدرة الخالق ، فضلا عن الارتقاء بمداركهم وشحذ فكرهم ، ونفع مجتمعهم ، بالاضافة الى احساسهم بقدرتهم على الوقوف مع نظرائهم فى مضمار العلم ، موقف الند من نده .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فانه لا تزال كفة التعليم الأكاديمى أو النظرى ، أرجح من كفة التعليم الفنى أو التطبيقى فى كثير من الدول الاسلامية ، وفى هذا ، قصور عن مواكبة العصر الحاضر ، الذى يتسم بسرعة التغير والتطور ، والتقدم التكنولوجى ، وهو فى نفس الوقت ، تقصير عما دعانا اليه الاسلام من ممارسة العلم بالتطبيق ، وامتزاج الفكر بالعمل ، وتلك هى مهام التخطيط ، ومتابعة التنفيذ .

<u>٤) من حيث اعداد المعلمين :</u>

لعل من أبرز مقاييس التقدم فى الشعوب ، مقدار اهتمامها بمعلميها ، فالأمة التى تعنى باعداد معلميها ، انما تعنى بأجيالها .

فالمعلم حجر الزاوية فى العملية التعليمية والتربوية ، ومن أجل هذا ، فان

اعـــداد المعلمين يحظى برعاية كبيرة من قبل الشعوب والدول المتقدمة فى عالمنا المعاصر. ومجتمعاتنا الاسلامية ـ بأوضاعها الراهنة ـ تحتاج الى جهود مكثفة من العناية باعداد المعلمين فيها ، لاسيما وأن الاسلام ، قد كرم العلم ، والعلماء ، والمتعلمين ، وحث على طلب العلم ، والتزود به مدى حياة المسلم ، ولنا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أسوة حسنة ، وهو المعلم الأول للمسلمين قاطبة ، والمعلم ، مصدر المعرفة بالنسبة للنشء ، وقائد مسيرة التقدم فى الأمم ، وحامل لثقافة أجيالها ، وعن طريقه ، توضح المفاهيم ، وتعمق المعانى السامية ، فضلا عن كونه الصورة المشرقة للمجتمع المثالى ، فهو وثيق الصلة بما يدور فيه ، وما يعيشه من أحداث وظروف ، والمعلم المسلم ، مرب ، ومؤدب ، وناصح ، وموجه لمن يتعلمون على يديه ، وهو مصلح فى مجتمعه بقدر ما لديه من علم ، وسعة أفق ، وفكر مفتوح . . . هذا ، هو المعلم الذى ينبغى أن يكون فى المجتمع الاسلامى ، وليس المعلم نصف المتعلم ، وليس المعلم المتخاذل عن توجيه النشء ، وليس المعلم الذى يتجاهل مسئولياته فى التربية والتوجيه ، وهو أيضا ، ليس الناقل للمعلومات فحسب .

لقد أدركت الدول الكبرى ، والمتقدمة و (غير الاسلامية) أهمية المعلم، وقدرت منزلته فى مجتمعاتها ، ودرجة تقديسها ، وقدر اسهامه فيه ، فعنيت باعداده، لأنها تعلم أن هذه العناية ، هى مردودة اليها أضعافا مضاعفة فى أجيالها المتعاقبة ، ومن ثم ، كرمت المعلم ، وأنزلته ما يتلاءم مع ما يقدم لها من عطاء مثمر ، ومستمر . . . فما بالنا نحن المسلمين ، نرى المعلمين بيننا ، وفى كثير من دولنا ، لا تحفل بهم مجتمعاتهم ، بل ، لا نكون مغالين اذا قلنا ان البعض لا يزال ينظر الى المعلمين نظرة متدنية اذا قورنت بنظرتهم الى غيرهم ممن يزاولون أعمالا أو يشغلون وظائف أخرى .

كيف هذا ، وبيننا كتاب الله عز وجل ، ونقرأ فيه قوله سبحانه وتعالى :

" يرفع الله الذين آمنوا منكم ، والذين أوتوا العلم درجات"

ان المسئولية التربوية الاسلامية ، تقتضى المزيد من الاهتمام بالمعلم ، من حيث اعداده ، وتوثيق صلته بمجتمعه المسلم ، الى جانب تزويده المستمر بالجديد من ألوان المعرفة ، وتدريبه أثناء خدمته ، فطلب العلم (للمسلمين عامة وللمعلم خاصة) دعانا اليه ديننا الحنيف ، ويحضرنا هنا القول الكريم :

" خيركم من تعلم العلم وعلمه " .

٥) من حيث التنسيق والتكامل بين الدول الاسلامية :

من الملاحظ ، أن دول وطننا الاسلامي ، ليست كلها من الدول الفقيرة ذات الامكانيات الاقتصادية المحدودة ، كما أنها ليست جميعها من الدول الغنية ذات الامكانيات الاقتصادية الكبيرة ، ولكنها مزيج من هذه ، وتلك ، وهذا قدرها .

ومن الملاحظ أيضا أن كثافة السكان ليست واحدة في كل البلاد الاسلامية ، ولكنها متفاوتة من بلد الى آخر ، وفقا لظروف كل منها .

كذلك ، بالنسبة لحالة التعليم في العالم الاسلامي ، فانها تتباين من دولة الى أخرى ، وهو ما نلمسه من واقع حياتنا المعاصرة .

بالاضافة الى ذلك ، فان بعض الدول الاسلامية أراد لها قدرها أن تخضع نظمها التعليمية - في فترة ما - لبعض المؤثرات التي أبعدتها عن روح الاسلام ، وجوهره وهي - في غالبيتها - لأسباب خارجة عن ارادتها ، فرضت عليها في حقبة من الزمن .

ومن ثم ، فلا عجب أن نرى في دول عالمنا الاسلامي ، من له اتجاهات تربوية شرقية ، ومن له اتجاهات تربوية غربية ، ومن له اتجاهات علمانية أو اتجاهات متطرفة الى غير ذلك من روافد الثقافة المستقدمة من خارج النطاق الاسلامي ، والتي تنأى في مضمونها عن طبيعة الاسلام ، ومعالم الطريق الذي رسمه للمسلمين .

وفي ضوء هذه السطور ، ولما كان الاسلام دين التآخي ، والتآزر ، والمودة بين المسلمين ، والتراحم بينهم ، ويدعوهم الى التعاون على الخير ، ومن أجل صلاح مجتمعاتهم ... فان أوضاع المسلمين الراهنة ، تتطلب ضرورة التكامل بينها في تناسق ، وتكافل من أجل الوصول بها جميعها الى حياة كريمة ، والى مستوى على أفضل مما هي عليه ، كما تقتضي ضرورة الالتحام الفكري ، والتربوي ، النابع من الاسلام ، بتعاليمه ، وجوهره ، وروحه ، والبعيد عن الشطط ، أو التطرف ، أو التقليد الممقوت .

وصدق الله العظيم ، حيث يقول :

" انما المؤمنون أخوة " .

" وتعاونوا على البر والتقوى " .

" ... والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض " . (سورة التوبة)

وصدق رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام ، اذ يقول :

" المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا " .

" من لم يهتم بأمور المسلمين ، فليس منهم " .

" مثل المؤمنين فى توادهم ، وتراحمهم ، وتعاطفهم ، كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " .

ويروى أنه صلى الله عليه وسلم ، خطب ذات يوم ، فأثنى على طوائف من المسلمين خيرا ، ثم قال : " ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم ، ولا يعلمونهم ، ولا يعظونهم ، ولا ينهونهم ؟ وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ، ولا يتفقهون ، ولا يتعظون ؟ والله ، ليعلمن قوم جيرانهم ، ويفقهونهم ، ويعظونهم ، ويأمرونهم ، وينهونهم ، وليتعلمن قوم من جيرانهم ، ويتفقهون ويتعظون أو لأعاجلنهم العقوبة ". (١)

ينبغى اذن ، أن تتجاوز العلاقة بين المسلمين روابط العقيدة ، فهذه من حتمية الأوضاع الدينية لهم ، من ذلك ، تبادل الزيارات الميدانية للمتخصصين فى فنون المعرفة ، وفروع العلم وضروب الخبرة ، للافادة من خبراتهم ومعلوماتهم وتجاربهم . ولا بأس من نقل التجارب التربوية الناجحة من دولة مسلمة الى أخرى ، أو الافادة من تنظيمات التعليم ، أو أساليب ادارته بالقدر الذى تسمح به ظروف كل دولة . كذلك ، ينبغى الافادة من عقد الندوات ، والمؤتمرات فى الدول الاسلامية ، ومدارسة المشكلات التربوية فى المجتمعات الاسلامية ، ففى هذا كله ، اثراء للفكر ، واضافة للمعلومات ، وتوحيد للجهود ، وتضافر من أجل القضاء على معوقات التنمية التربوية فى دول العالم الاسلامى ، وينبغى ، أن يأخذ التخطيط التربوى ذلك فى حسبانه .

---

(١) عزالدين بليق - منهاج الصالحين - مرجع سابق ـ ص ٤٢٨ .

٦) من حيث ادارة التعليم والقيادات التربوية :

من المعروف ، أن ادارة التعليم على جانب كبير من الأهمية ، بحيث يمكن اعتبارها الموجه لحركة التعليم في المجتمع .

ومن الملاحظ ، أن كثيرا من دولنا الاسلامية ، تفتقر الى الادارة التعليمية ذات الكفاءة العالية ، وبالتالى ، فان هذا له أثره على الحياة المدرسية والعملية التعليمية ، ذلك ، أنها لا تزال - حتى الآن - تستخدم التنظيمات الادارية ، المتبعة منذ سنوات طويلة ، سواء في هياكلها أو في ممارساتها ، فنراها متمسكة بتقاليد الماضى ، بعيدة عن التقنيات الحديثة ، والتكنولوجيا العصرية ، وهى ، وان استخدمتها ، فانما تفعل ذلك ، مسايرة للعصر ، ولكنها ، في حاجة الى تغيير جذرى في سلوكيات الادارة ، وفي حاجة الى تمرس عميق ، عن اقتناع بجدواه ، وفعاليته ، . كما أنها في حاجة الى التخلص من جمود القوانين ، وعقم "الروتين" . وأنواع القيادات التى تعيش بعقول تنفر من التجديد وتعزف عن التطوير ، ومن أجل هذا ، كان على المجتمعات الاسلامية أن تتوخى اقامة ادارة تربوية واعية ، قادرة على توجيه شئون التعليم ، وجهة اسلامية ، تستطيع أن تخطو به قدما الى الأمام ، ولا غبار عليها أن تستفيد مما يعيش في عالمنا المعاصر من اتجاهات ادارية ، وقيادية تثبت صلاحيتها ، ذلك ، أن قيادة التعليم ، وتوجيه التربية في المجتمع ، تعتبر من أهم الأمور التى يضطلع بها المسئولون في المجتمعات .

وبالاضافة الى ذلك ، ينبغى وجود تعاون مشترك بين أجهزة التخطيط التربوى ، وأجهزة الاحصاء ، والأجهزة التنفيذية ، عند وضع الخطط التعليمية (في كل دولة اسلامية) على أن تتوفر لهذه الأجهزة ، الامكانيات البشرية ، المدربة والامكانيات المادية ، الكافية للقيام بمهامها ، فضلا عن توفير القيادات التربوية ، الادارية ، والاشرافية ، التى تهيمن على شئون التعليم (بمستوياتها المختلفة) على أن يراعى في اعدادهم ، الملاءمة الوظيفية المتكاملة ، للمهام التى توكل اليهم .

. . . .

٧) من حيث وسائل التثقيف والاعلام :

تلعب وسائل التثقيف العام ، ووسائل الاعلام فى المجتمع ، دورا كبيرا فى توجيه عامة الناس ، وجماهير الشعوب ، فالاذاعات المسموعة ، والمرئية ، والصحف ، والمجلات والأندية الثقافية ، ووسائل الترويح ، وكذلك المحاضرات العامة والندوات ، ... الخ .. كل هذه تتضمن جانبا تربويا هاما فى ثنايا صفحاتها ، وبرامجها ، ومحتواها .

ولما كانت مجتمعاتنا الاسلامية - بوضعها الراهن ، وفى عالمنا المعاصر - عرضة للنيل منها ، ثقافيا ، وخلقيا ، وفكريا ، ... لذا ، فان وسائل التثقيف ، وأجهزة الاعلام ، يقع على عاتقها ، مسئولية توجيه الجماهير المسلمة ، وتوعيتها من الغزو الفكرى ، والثقافى ، وتحذيرها من الأفكار المسمومة ، والكتابات المغرضة ، التى يندس أصحابها بين صفوف المسلمين ، وكذلك ما يروج له بعض المتطرفين من المسلمين ، والمنحرفون عن جادة الصواب كأصحاب المذاهب الفكرية الهدامة ، والآراء الغريبة ، والفكر الضال ، البعيد عن هدى الاسلام وطريقة القويم .

ومن هنا ، كان - وبالدرجة الأولى - من مسئوليات الحكومات الاسلامية ، ضرورة اشرافها ، ورقابتها على ما يوجد بمجتمعاتها من وسائل للتثقيف، وأجهزة للاعلام ، ومتابعة تقويم ما تقدمه من برامج أوأحاديث أو مقالات أو مادة اعلامية ... مستهدفة فى ذلك ، سلامة عقيدة المسلمين ، وحسن توجيههم ومهاراتهم الفكرية ، وألا تتركهم يتعلمون ما يضرهم ، ولا ينفعهم .

كذلك ، ينبغى أن يوضع فى اعتبار المسئولين عن التخطيط للتربية فى المجتمعات الاسلامية ، الحرص على توجيه وسائل التثقيف، وأجهزة الاعلام بها مع التأكيد على حسن أدائها ، وكفاءتها ، باعتبارها من وسائط التربية العامة فى المجتمع .

.. ..

٨) من حيث المؤتمرات ، والاجتماعات :

تتعدد المؤتمرات التي تعقد في دول العالم الاسلامي ، وتتنوع الندوات والاجتماعات التي تتم فيها من آن الى آخر ، منها ما يتعلق بالتربية والتعليم ، ومنها ما يتعلق بالسنة النبوية المطهرة ، وما يتصل بالمنظمات الدينية ، وعواصم العالم الاسلامي ، ومساجد المسلمين ، ومنها ما يتصل بشئون الاقتصاد ، والتجارة والصناعة ، والزراعة ، والبحارة ،... ومنها ما يتصل بالنواحي السياسية ... الى غير ذلك مما يعقد على الصعيد الدولي ، وما يعقد على المستوى الاقليمي ، ثم ما يعقد على المستوى المحلي .

وكثيرا ، ما تنتهي هذه المؤتمرات ، وتلك الاجتماعات والندوات ، بصدور مجموعة من القرارات أو طائفة من التوصيات المقترحة ، ولا شك ، أن فيها جميعا ، دراسات مستفيضة ، وتحليل دقيق لأوضاع المسلمين ، وتصنيف لمشكلاتهم ، ومحاولات ، ورغبات ملحة للقضاء عليها .

ولكن ، كم من هذه القرارات ، وتلك التوصيات جعلتها الدول الاسلامية موضع التنفيذ ؟

وماذا أفاد المسلمون من هذه المؤتمرات ، وما شاكلها ؟

أم أن ما تصدره من قرارات غير سارية المفعول ، فهي توصيات يكتفى بتقديمها مع ايقاف التنفيذ ؟

أم أننا نقول مالا نفعل ؟ ونتحمس للقول ، ونتخاذل عن العمل ؟

ليس هذا من طبيعة الاسلام في شيء ، ولا من الايمان في شيء ، فليس الايمان بالتمني ، ولكن الايمان ما وقر في القلب ، وصدقه العمل ، كما جاء في حديث المصطفى عليه الصلاة والسلام . ان ديننا الحنيف ، يدعونا دائما الى تأكيد القول السديد بالعمل المتقن .

تأمل معنى هذه الآيات الكريمة :

" ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ، تتنزل عليهم الملائكة " ..

"ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، كانت لهم جنات الفردوس نزلا ".

" يا أيها الذين آمنوا ، لم تقولون ما لا تفعلون ، كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون " .

من ذلك نرى أن الله جل وعلا - وهو الخبير بخلقه - يوجهنا دائما الى العمل وضرورة تلازم الأعمال مع الأقوال .

ومن أجل هذا ، ينبغي أن تأخذ القرارات ، والتوصيات والمقترحات ، طريقها الى التنفيذ ، والمتابعة المستمرة بهدف اصلاح المعوج ، وتصويب الخطأ ، والمضي في طريق التقدم ، والا غدت هذه المؤتمرات ، والاجتماعات كالاناء الفارغ ، أو كالطبل الأجوف ، وهذا ، يبعدنا كثيرا عن طبيعة الاسلام ، وجوهره ، فخير مسلم ، من عمل بما علم . تلك ناحية ، وناحية أخرى ، فقد تتضمن تنظيمات التخطيط التربوي عقد حلقات دراسية (على سبيل المثال) لبعض القضايا الفكرية أو التربوية ، ثم يقتضي الأمر اجراء تعديلات في مجال أو أكثر ، وذلك في ضوء ما تتمخض عنه الدراسة من نتائج ، هنالك ، عند توقف التنفيذ ، تتراكم المشكلات ، ويصعب حلها من جراء عدم الالتزام بالتطبيق والمتابعة ، ولهذا ، فان التخطيط للتربية في المجتمع الاسلامي ينبغي أن يحرص على ضرورة متابعة المؤتمرات ، والاجتماعات ، وما تصدره من قرارات وتوصيات ، حتى لا تضيع الجهود ، وتتبدد ، وتذهب مراميها أدراج الرياح . وحتى لا تكون المحصلة النهائية ، القاء التبعة على سوء التخطيط أو عدم صلاحيته .

.. ..

وبعد ، فلعل هذه السطور التي ألقينا من خلالها لمحة عاجلة على طبيعة التخطيط التربوي في المجتمع الاسلامي ، تكون قد أبرزت بعض حقائقه ، ولعلها تسهم في ايضاح لواقع نحسه ، ورسم لتصور ننشده ، ولا شك ، أن هناك المزيد من الفكر ، والمزيد من وضوح الرؤية لمن تتوق نفسه الى معرفة واقع المجتمعات الاسلامية ، وقد يعلم عنها أكثر مما لسنا ، رغبة في تقدمها وازدهارها ، وهو ما يحدونا جميعا ، " وفوق كل ذي علم ، عليم ".(1)

وما التوفيق الا من عند الله .

---

(1) سورة يوسف - الآية ٧٦ .

من مراجع البحـــث

١) القرآن الكريم .

٢) التخطيط التربوى - الكتاب السنوى العالمى - نيويورك - لندن سنة ١٩٦٧م.

٣) الشيخ جمال الدين محمد جار الله بن ظهيره - الجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف . الطبعة الخامسة . المكتبة الشعبية - بيروت - لبنان - ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م.

٤) اليونسكو - المكتب الدولى للتربية - التخطيط التربوى - سنة ١٩٦٢م.

٥) د . سيد أحمد عثمان - المسئولية الاجتماعية والشخصية المسلمة - مكتبة الانجلــو المصرية - القاهرة ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م.

٦) د . عرفات عبد العزيز سليمان - استراتيجية الادارة فى التعليم - مكتبة الانجلــو المصرية - القاهرة ١٩٧٨م.

٧) د . عرفات عبد العزيز سليمان - الاتجاهات التربوية المعاصرة (الطبعة الثانيــة) مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة ١٩٧٩م.

٨) عز الدين بليق - منهاج الصالحين من أحاديث وسنة خاتم الأنبياء والمرسلين - الطبعة الأولى - دار الفتح للطباعة والنشر - بيروت - لبنان ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨م.

٩) لجنة من خبراء اليونسكو - التخطيط التربوى - ترجمة منير عزام - دمشق ١٩٧٣م.

10. CRAMER, J. F. and BROWNE, G.S. Contemporary Education, a Comparative Study of National Systems. (New-York). Harcourt Bruce and World Inc. 1965.

11. J. VAIZY: The Control of Education. Faber and Faber, London. 1963.

12. PHILIP. H. CooMBES. The World Education Crisis. (a System Analysis) Oxford University, 1968.

13. UNESCO, World Survey of Education. Vol. III. Paris, 1961.

14. UNESCO, World Survey of Prollems and Trospects of Educational Planning. Paris, 1970.

.. ..